بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾

(التين ١ : ٣)

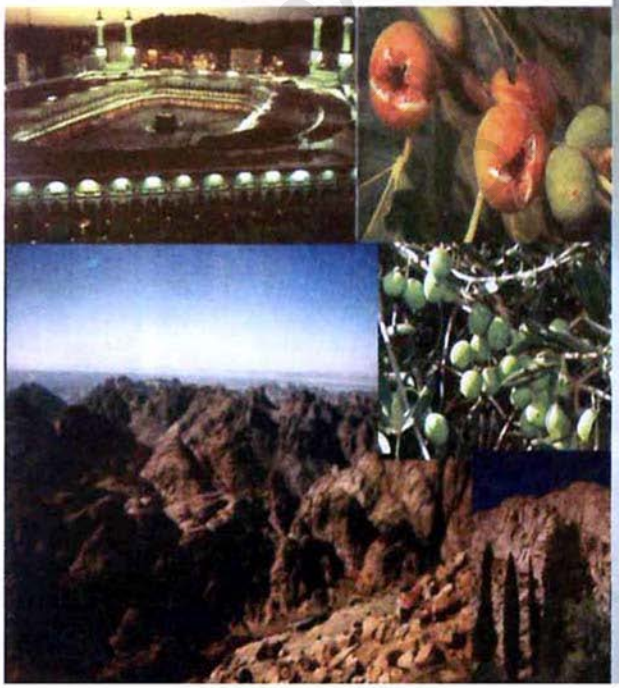

obeikan.com

هذه الآيات المباركات جاءت فى مطلع سورة التين، وهى سورة مكية، ومن قصار السور فى القرآن الكريم، إذ يبلغ عدد آياتها ثمانى آيات فقط بعد البسملة، وقد سميت بهذا الاسم لورود القسم فى مطلعها بهذه الثمرة المباركة «التين» التى وصفها المصطفى ﷺ بقوله الشريف: «**لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة قلت التين؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم**[1]...»[2]، ومطلع سورة التين يمثل الآية الوحيدة فى كل القرآن الكريم التى جاءت فيها الإشارة إلى التين، وأتبع القسم بالتين بثلاثة صيغ أخرى من القسم بالزيتون وطور سنين، ومكة المكرمة (هذا البلد الأمين).

عرض موجز لسورة التين

يدور المحور الرئيسى للسورة حول قضيتين رئيسيتين: **أولاهما هى قضية تكريم الله للإنسان**: بخلقه فى أحسن تقويم، وعلى فطرة مستقيمة مع التأكيد على حقيقة الأخوة الإنسانية التى ينتهى نسبها إلى آدم عليه السلام، وآدم من تراب كما أخبرنا القرآن الكريم وأخبرتنا أحاديث المصطفى ﷺ، وهذه الفطرة التى فطر الله ـ تعالى ـ الإنسان عليها مستقيمة أيضًا مع حقيقة الإيمان بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبسيدنا محمد ﷺ نبيًا ورسولاً، وبالوحى والنبوة والرسالة السماوية منهجًا فى التبليغ عن الله الخالق البارئ المصور، ومن ثم الإيمان بأنبياء الله ورسله أجمعين، وبما أرسلوا به من دين يحوى الإجابات الشافية على التساؤلات الكلية التى تشغل بال الإنسان طيلة حياته ـ قَلَّتْ ثقافته أو زادت، وعلا قدره فى المجتمع أو انحط ـ من مثل قضايا **العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات** التى تشكل صلب الدين، والتى لا يقوى الإنسان على وضع أية ضوابط صحيحة لنفسه فيها، إما لكونها من صميم

---

(١) عجم: جمع عجمة، وهى النواة.

(٢) الكحال فى «الأحكام النبوية فى الصناعة الطبية» (٢/ ١٤١)، والذهبى فى «الطب النبوى» (٤٠).

الغيب المطلق كقضايا العقيدة، أو الأوامر الإلهية المطلقة كقضايا العبادة، أو لكونها ضوابط للسلوك كقضايا الأخلاق والمعاملات، والإنسان كان دومًا عاجزًا عن وضع ضوابط لسلوكه من تصوراته وتقديراته الشخصية، ومن هنا كانت ضرورة الدين لاستقامة حياة الإنسان على الأرض، ومن هنا أيضًا كان لازمًا للدين كى يكون دينًا صحيحًا قادرًا على تربية الإنسان تربية صالحة، وعلى ضبط حركة الحياة ضبطًا عادلاً، أن يكون بيانًا ربانيًا خالصًا لا يداخله أدنى قدر من التصورات البشرية، وبذلك يتضح الفرق بين دين صحيح ودين غير صحيح . . . !! وتتجلى قيمة الإيمان الكامل فى حياة الإنسان، ذلك المخلوق المكرم الذى قال ربنا ـ تبارك وتعالى ـ فى حقه:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وهذا الإنسان المكرم جعله الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ مخلوقًا ذا إرادة حرة، حتى يؤجر على كل خير يفعله، ويجازى على كل خطأ يقترفه، وقد هيأه الله ـ سبحانه وتعالى ـ لذلك تهيئة كاملة بالروح والنفس، والعاطفة والعقل، وبمختلف الحواس، وجعل حرية الاختيار عنده من مناطات التكريم، ووسائل التقييم لعمله، فكلما التزم الإنسان بالمنهج الذى وضعه الله ـ تعالى ـ له واستقام عليه، وصل إلى درجات من الكمال الإنسانى الذى أفسح الله ـ سبحانه وتعالى ـ المجال للإنسان فيه. وليس أدل على ذلك من قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ فى الحديث القدسى: «ما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه فأكون سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ولسانه الذى ينطق به، وقلبه الذى يعقل به، فإذا دعانى أجبته، وإذا سألنى أعطيته، وإذا استنصرنى نصرته، وأحب ما تعبدنى عبدى به النصح لى». (رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة)[1].

ويدل على ذلك أيضًا وقوف جبريل عليه السلام عند مقام لم يتجاوزه فى رحلة المعراج، وتجاوزه المصطفى ﷺ، لقول جبريل له: «تقدم أنت فإنى لو تقدمت

(١) الطبرانى فى «المعجم الكبير» (١٢/ ١٤٦).

لاحترقت، ولو تقدمت أنت لاخترقت»، وهو مقام لم ينله أحد من الخلق من قبل ولا من بعد.

وهذا التكريم الذى أعطاه الله ـ تعالى ـ للإنسان كلما ارتقى بملكاته البشرية فى معراج الله، يمكن أن ينقلب إلى ضده تمامًا إذا انتكس الإنسان بفطرته، وانحط باختياره وإرادته عن مقامات ذلك التكريم فيهوى بنفسه إلى أسفل سافلين، فى الدنيا بشقائه فيها، وفى الآخرة بإلقائه فى الدرك الأسفل من النار، ولذلك قال ربنا تبارك وتعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤ ـ ٦].

ومن الدلالات المستوحاة من هذه الآيات الكريمة أن الله ـ تعالى ـ قد خلق الإنسان فى أحسن هيئة، وأنسب قامة، وأعدل صورة، وزوده بالعقل والجوارح، والأحاسيس، والمشاعر، وبالقدرة على اكتساب المعارف والمهارات، كما زوده بالإرادة الحرة، وبغير ذلك من الصفات والمواهب والقدرات التى تعينه على القيام بواجبات الاستخلاف فى الأرض، وتنمو معه هذه الملكات والمواهب حتى تصل إلى أوجها فى مرحلة الشباب، ثم تبدأ فى التناقص التدريجى والذبول مع الكبر فى السن حتى إذا وصل الإنسان إلى أرذل العمر أدركه الضعف بعد القوة، والعجز بعد القدرة، فإذا كان من الكفار أو المشركين أو العصاة الضالين أوكله الله ـ تعالى ـ إلى ضعفه وعجزه البشريين، وإذا كان من المؤمنين الصالحين فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يكرم شيبته، ويجبر تقصيره، ويوفيه حقه كاملا غير منقوص حتى لو لم تمكنه قدراته من أداء عباداته كما كان يؤديها فى شبابه وقوته، وفى ذلك يروى عن ابن عباس رضى الله عنه قوله: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب له ما كان يعمل». كذلك روى البخارى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قوله: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا»[1].

(١) [صحيح] البخارى (٢٩٩٦).

فسواء كان المقصود بالارتداد إلى أسفل السافلين ـ فى الآية الكريمة ـ هو الارتداد فى الدنيا إلى أرذل العمر وما فيه من ضعف وعجز بعد قوة وقدرة، يتدارك فيه الله تعالى ـ برحمته ـ كل مؤمن صالح، ويدع ـ بعدله ـ كل كافر ومشرك لقدره، أو كان المقصود الارتداد إلى الآخرة وأهوالها وعذابها حيث ينجى الله برحمته المؤمنين الصالحين ويوفيهم أجورهم كاملة غير منقوصة، ويلقى بالكافرين والمشركين والمنافقين الضالين وبعتاة الظالمين المتجبرين المجرمين إلى أسفل دركات النار، فالآيات الكريمة تتسع للمعنيين معًا، ولما هو فوقهما من معان فى نفس السياق، والله ـ تعالى ـ أعلى وأعلم.

والقضية الثانية: التى يدور حولها محور سورة التين هى **قضية الدين** الذى أنزله ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على فترة من الرسل تجاوز عددهم الثلاثمائة وبضعة عشر رسولاً، اختارهم الله ـ تعالى ـ من بين مائة وعشرين ألف نبى، بعثوا كلهم بالإسلام الحنيف، ودعوا إلى توحيد الله الخالق ـ بغير شريك، ولا شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة ولا ولد ـ وإن اختلفت تفاصيل التشريعات من عصر إلى آخر، إلا أن دعوتهم جميعًا لأممهم كانت بلا أدنى خلاف هى:

﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٥، ٣، ٨٥، هود: ٥٠، ٦١، ٨٤].

وقد أكمل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ رسالته إلى خلقه، وأتمها وختمها ببعثة النبى الخاتم والرسول الخاتم، سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد بن عبدالله ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين ـ؛ ولكونها الرسالة الخاتمة فقد أنزل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ البشرى بها فى الرسالات السابقة على نزولها، وتعهد بحفظها بنفس لغة وحيها ـ اللغة العربية ـ، فحفظت حرفًا حرفًا، وكلمة كلمة، على مدى يزيد على الأربعة عشر قرنا وتعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظها وإلى أن يرث الأرض ومن عليها.

وهذا الحفظ بذاته هو ضرب من الإعجاز الذى لم تتمتع به الكتب السماوية الأخرى، وقد ترك حفظها لأقوامها فضيعوها بالكامل، وعرضوا ما بقى منها من ذكريات نقلت شفاها لقدر من التحريف الذى أخرجها عن إطارها الربانى،

وجعلها عاجزة عن هداية أتباعها، وليس أدل على ذلك من بحار الدم والخراب والدمار التى تغرق أرض فلسطين اليوم باسم كل من أنبياء موسى ويعقوب وإسحاق وإبراهيم - عليهم من الله السلام - وهم من ذلك براء، والتى تغرق أرض كل من العراق، وأفغانستان، وكشمير، والشيشان، وأراكان، وجنوب الفيليبين، والبلقان، والصومال، وجنوب السودان باسم عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو برىء مما يرتكبون من جرائم وآثام وتعديات على أبسط حقوق الإنسان. . . ، وهؤلاء الطغاة الضالون أغرقوا كثيراً من أهل الأرض المستضعفين فى بحار من الدماء والأشلاء، والخراب والدمار باسم الدين، والدين منهم براء. . . !! ولذلك جاء الخطاب فى ختام سورة التين موجهًا إلى كل كافر ومشرك وظالم بصيغة من صيغ الاستفهام الاستنكارى التوبيخى التقريعى يقول فيه ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿ فما يُكذِّبُك بعدُ بالدِّين (٧) أليس اللَّهُ بأحكَم الحاكمين ﴾ [التين: ٧، ٨].

أى: فأى شىء يضطرك أيها الكافر أو المشرك إلى الكفر بالله -تعالى- أو الشرك به، بعد ما تبينت لك شواهد إبداعه فى الخلق، وهى دالة دلالة قاطعة على قدرته على البعث بعد الموت، وعلى الحساب والجزاء فى الآخرة، وهذه من الحقائق التى نزلت بها كل رسالات السماء، وأكدتها الرسالة الخاتمة المحفوظة بحفظ الله، مما يضع الكفار والمشركين والطغاة المتجبرين فى مصاف المكذبين بالدين، المنكرين لحقيقة أن الله - تعالى - هو أحكم الحاكمين، الذى أتقن كل شىء خلقه، وأحكم قضاء كل أمر أقره بين الخلق بالحق والعدل.

والاستفهام فى ختام هذه السورة المباركة هو من نوع الاستفهام الاستنكارى، التوبيخى، التقريعى، والتقريرى لما جاء بعد النفى، ولذلك يروى عن رسول الله ﷺ قوله الشريف: «**فإذا قرأ أحدكم (والتين والزيتون) فأتى آخرها: (أليس الله بأحكم الحاكمين) فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين**»[1] وروى مالك عن البراء بن عازب قال: كان النبى ﷺ يقرأ فى سفره فى إحدى الركعتين بالتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتا أو قراءة منه.

وسورة التين هى السورة القرآنية الوحيدة التى سميت باسم ثمرة من ثمار

(١) مسند أحمد (٧٠٨٦)، سنن أبى داود (٧٥٣)، سنن الترمذى (٣٢٧٠).

الفاكهة، ومن الثمار النباتية على الإطلاق، وقد ذكر فيها التين مرة واحدة، وهى المرة الوحيدة التى ذكرت فيها هذه الثمرة فى القرآن الكريم كله، بينما جاء ذكر كل من الزيتون وزيته فى ست آيات قرآنية أخرى، وبذلك يكون التين قد ذكر فى القرآن الكريم مرة واحدة، بينما ذكر الزيتون وزيته سبع مرات.

وتبدأ السورة بقسم من الله ـ تعالى ـ بكل من التين والزيتون، وربنا غنى عن القسم لعباده، ولكن المقصود من القسم هو التنبيه إلى الأهمية الكبرى لهاتين الثمرتين المباركتين وإلى بركة منابتهما الأصلية، فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله: هو تينكم الذى تأكلون، وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت. ولكن نظراً للعطف على هذا القسم بقسم آخر، بمكانين مباركين هما طور سينين، والبلد الأمين فى قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ [التين: ١ ـ ٣].

لجأ بعض المفسرين إلى استنتاج الدلالة بالتين والزيتون على منابتهما الأصلية من الأرض. فطور سينين هو الجبل الذى نودى موسى عليه السلام من جانبه فى شبه جزيرة سيناء (أو سينا) ومعناها فى اللغة: المباركة الحسنة، والجبل معروف اليوم باسم «طور سيناء» أو جبل موسى (أو جبل المناجاة). والبلد الأمين هو مكة المكرمة، وحرمها الآمن، وبها الكعبة المشرفة، أول بيت وضع للناس فى الأرض، ، وعلاقة هذين المكانين المباركين بوحى السماء لاينكرها إلا جاحد للحق. ومن هنا كان الاستنتاج بأن القسم بهاتين الثمرتين قد يتضمن من أحد جوانبه الإشارة إلى كرامة منابتهما الأصلية من الأرض، وذلك من مثل كل من بيت المقدس وبجواره طور زيتا، وبه المسجد الأقصى المبارك ـ الذى ندعو الله تعالى أن يطهره من دنس الصهاينة المجرمين، وأن يحرره ويحرر أرض فلسطين كلها من احتلالهم الجائر البغيض، ويحرر جميع أراضى المسلمين المحتلة والمغصوبة من ربقة المحتلين والغاصبين من الكفار والمشركين، أعداء الله وأعداء الدين فى أقرب وقت بإذن رب العالمين اللهم آمين آمين آمين يارب العالمين.

ومن أشهر منابت كل من التين والزيتون ـ بأنواعهما المتميزة ـ بلاد الشام، وجنوب شرقى تركيا، والأولى بها طور تينا بجوار دمشق، وهى أرض المحشر، والثانية بها مرسى سفينة نوح عليه السلام وبقايا مسجده على جبل الجودى.

وعلى الجانب الآخر فإن كلاً من طور سيناء، وبيت المقدس، ومكة المكرمة قد بعث الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيه نبيّا من أنبيائه ورسولاً من أولى العزم من رسله، وطور سينين كلم الله ـ جلت قدرته ـ عنده عبده ونبيه ورسوله موسى بن عمران عليه السلام، وبيت المقدس بعث الله ـ سبحانه و تعالى ـ فيه عبده ونبيه ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام، ومكة المكرمة أهبط الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيها أبانا آدم عليه السلام ثم زارها معظم أنبياء الله ورسله، ومدفون بها عدد كبير منهم، ثم بعث الله ـ تعالى ـ فيها خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ليلتقى فيها أول النبوة بخاتمها. تأكيدا على وحدة رسالة السماء وعلى الأخوة بين الأنبياء، وعلى اكتمال الوحى السماوى فى رسالة النبى والرسول الخاتم ﷺ.

وإن كانت الصياغة القرآنية فى مطلع سورة التين واضحة الدلالة على الثمرتين اللتين تؤكلان باسم التين والزيتون، إلا أن ذلك لاينفى الإشارة إلى منابتهما من الأرض حتى يرتبط السياق بالقسم التالى بمكانين من أشرف أماكن الأرض، هما مكة المكرمة أشرفها على الإطلاق، وطور سيناء حيث كلم الله ـ تعالى ـ عبده موسى عليه السلام.

وبعد القسم بكل من التين، والزيتون، وطور سينين، والبلد الأمين، يأتى جواب القسم بالأمر المقسم عليه وذلك بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين: ٤ ـ ٦].

ثم ختمت السورة الكريمة باستفهام استنكارى، توبيخى، تقريعى لكل كافر ومشرك وظالم وضال عن الحق يقول فيه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ [التين: ٧، ٨].

ولا نملك هنا إلا أن نقول: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين. كما علمنا خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

من أسس العقيدة فى سورة التين

(١) الإيمان بأن الله ـ تعالى ـ خلق الإنسان فى أحسن تقويم، ثم يرد الكفار

والمشركين والظلمة الطاغين المتجبرين على الخلق، والعصاة الضالين المضلين المفسدين فى الأرض إلى أسفل سافلين، فى الدنيا بضعفهم وهزالهم وأمراضهم عند الكبر خاصة عندما يردون إلى أرذل العمر، وفى الآخرة عندما يُدَعُّون إلى نار جهنم دعا؛ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيكرمهم الله - تعالى - فى الدنيا برعايته وعنايته وبإدخالهم برحمته فى رحمته، ويكرمهم فى الآخرة بإدخالهم فى نعيم جناته ورضوانه، وبإعطائهم أجورهم كاملة غير منقوصة، ولا ممنونة.

(٢) اليقين بأن الدين الوحيد الذى يرتضيه ربنا - تبارك وتعالى - من عباده هو الإسلام الذى أنزله على فترة من الرسل، ثم أكمله وأتمه وحفظه بنفس لغة وحيه - اللغة العربية - فى رسالته الخاتمة التى بعث بها النبى الخاتم والرسول الخاتم - عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم -، ومن هنا فإن الدين عند الله الإسلام، ومن هنا أيضا فإن الله - تعالى - لا يرتضى من عباده دينًا سواه.

(٣) التسليم بأن الإيمان الصادق يستتبع العمل الصالح.

(٤) الإيمان بأن الذى يكذب بالدين الخاتم مطرود من رحمة رب العالمين، محكوم عليه بالشقاء فى الدنيا، وبالعذاب فى الآخرة، وإن كثر ماله وجاهه وسلطانه على الأرض.

(٥) التصديق بأن الله - تعالى - هو أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين

من الإشارات الكونية فى سورة التين

(١) القسم بكل من التين والزيتون إشارة إلى ما فيهما من قيمة غذائية وفوائد صحية كبيرة للإنسان. وإشارة كذلك إلى بركة منابتهما الأصلية وهى من الأماكن المقدسة، منذ خلق الله السماوات والأرض.

(٢) القسم بطور سينين وهو الجبل المكسو بالخضرة الذى كلم الله - سبحانه وتعالى - من جانبه، عبده ونبيه ورسوله موسى بن عمران عليه السلام، وهو بالقطع مكان مبارك.

(٣) القسم بالبلد الأمين وهو مكة المكرمة، وحرمها الآمن، وبها الكعبة المشرفة، أول بيت وضع للناس، والعلوم المكتسبة تثبت شرف المكان وتميزه على جميع بقاع الأرض وهى حقيقة يدركها كل ذى بصيرة.

(٤) تأكيد حقيقة خلق الإنسان فى أحسن تقويم.

(٥) الإشارة إلى إمكانية ارتداد الإنسان إلى أسفل سافلين فى الدنيا والآخرة، وهو أشرف مخلوقات الله إذا كان مؤمنًا صالحًا، وأحقر هذه المخلوقات وأبغضها إلى الله إذا كان كافرًا أو مشركًا أو ظالمًا متجبرًا، أوفاسقًا فاجرًا، والعلوم السلوكية تثبت هذا الارتداد الدنيوى إلى أسفل سافلين عند كثير من البشر فى القديم والحديث خاصة فى أيام الفتن التى يعيشها إنسان العصر الحالى.

وكل قضية من هذه القضايا تحتاج إلى معالجة مستقلة، ولذلك فسوف أقصر حديثى هنا على القسم الذى جاء بالآيات الثلاث الأولى من هذه السورة المباركة، ولكن قبل البدء فى ذلك لابد من استعراض سريع لأقوال عدد من المفسرين فى شرح دلالة هذه الآيات الثلاث.

من أقوال المفسرين

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ١ ـ ٣].

* ذكر الطبرى ـ رحمه الله ـ ما مختصره: «﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ قيل هو التين الذى يؤكل، والزيتون الذى يعصر، أقسم الله بهما، وجاء فيه اختلاف ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ جبل معروف، قيل هو جبل موسى عليه السلام ومسجده ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ الآمن من أعدائه أن يحاربوا أهله أو يغزوهم، عنى به مكة المكرمة».

* وجاء فى مختصر تفسير ابن كثير ـ رحمه الله ـ ما نصه: «اختلف المفسرون ههنا على أقوال كثيرة فقيل: المراد بالتين دمشق، وقيل: الجبل الذى عندها، وقال القرطبى: هو مسجد أصحاب الكهف، وروى عن ابن عباس: أنه مسجد نوح عليه السلام الذى على الجودى، وقال مجاهد: هو تينكم هذا، ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ قال قتادة:

هو مسجد بيت المقدس، وقال مجاهد وعكرمة: هو هذا الزيتون الذى تعصرون، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى، ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ يعنى مكة، قال ابن عباس ومجاهد، وقال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة، بعث الله فى كل واحد منها نبيًا مرسلاً من أولى العزم، أصحاب الشرائع الكبار. (فالأول) محلة التين والزيتون وهى (بيت المقدس) التى بعث الله فيها عيسى ابن مريم عليه السلام، و(الثانى) طور سينين وهو (طور سيناء) الذى كلم الله عليه موسى بن عمران، و(الثالث) مكة المكرمة وهى ﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ الذى من دخله كان آمنا، وهو الذى أرسل فيه محمدًا ﷺ. .»

* وجاء فى كل من تفسير الجلالين، والظلال، وصفوة البيان، والمنتخب، وصفوة التفاسير، كلام مشابه مع التركيز على رأى دون الآخر ولا أرى حاجة إلى تكرار ذلك هنا.

من الدلالات العلمية للآيات القرآنية الكريمة فى مطلع سورة التين

أولاً: فى القسم بالتين

يبدو ـ والله تعالى أعلم ـ أن القسم بالتين جاء لتنبيهنا إلى ما فى هذه الثمرة المباركة من إعجاز فى خلقها، ومن منافع جمة فى تناولها كغذاء.

وثمرة التين هى ثمرة مركبة غير حقيقية، تتكون نتيجة لنمو نورة مخروطية الشكل تحوى بداخلها الأزهار المؤنثة التى تبطن جدار النورة من الداخل، والأزهار المذكرة التى تنتشر حول الفتحة الخارجية للنورة، وهى فتحة ضيقة فى أعلى النورة، وتنضج الأزهار المؤنثة عادة قبل نضج الأزهار المذكرة، ولذلك يسخر الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ حشرة خاصة تعرف باسم «ذات البلعوم المتفجر» (Blastophaga) تقوم بتلقيح نورات التين من خلال منفعة متبادلة بينهما، تقوم فيها نورات شجرة التين بتهيئة المكان الدافىء الأمين للحشرة تضع فيه بيضها حتى يفقس، ثم تغذى صغارها حتى يكتمل نموها، وعند خروجها من النورة يحتك جسمها بالأزهار المذكرة فيتعفر بحبوب اللقاح التى تحملها إلى الأزهار المؤنثة فى شجرة أخرى أو فى نفس الشجرة، فتتم بذلك عملية الإخصاب اللازمة لإثمار شجرة التين.

ويتكون على شجرة التين سنويًا ثلاثة أجيال من النورات، الجيل الأول منها يحمل أزهارًا مذكرة وأخرى حاضنة للحشرات، وتحمل نورات الجيل الثانى أزهارًا مؤنثة فقط تلقحها الحشرات الخارجة من نورات الجيل الأول فتخصبها وبذلك تمثل المحصول الرئيسى لشجرة التين، أما نورات الجيل الثالث فتحوى أزهارًا حاضنة للحشرة المتعايشة معها فقط، وفيها تقضى الحشرة فصل الشتاء.

فمن الذى وضع هذا النظام الرتيب لإثمار شجرة التين غير الله الخالق؟ ومن الذى دل تلك الحشرة على مسكنها فى نورة شجرة التين كى تخصبها بحركتها من نورة إلى أخرى غير الله الخالق؟ والعلاقة بين نورة التين وهذه الحشرة تعتبر من أعجب العلاقات المعروفة لنا بين النبات والحيوان.

من منافع ثمرة التين

تحتوى ثمرة التين على نسبة عالية من الكربوهيدرات تصل إلى ٥٣٪ من وزنها، أغلبها من السكريات الأحادية والمركبات النشوية، بالإضافة إلى نسبة صغيرة من البروتينات فى حدود ٣,٦٪، ونسب أقل من أملاح كل من البوتاسيوم، الكالسيوم، المغنيسيوم، الفوسفور، الحديد، النحاس، الزنك، الكبريت، الصوديوم، والكلور، كما تحتوى ثمرة التين على العديد من الڤيتامينات، والإنزيمات، والأحماض، والمواد المطهرة والهلامية، بالإضافة إلى نسبة كبيرة من الألياف (تصل إلى ١٨,٥٪) ونسبة أكبر من الماء. وعلى ذلك فهى ثمرة غنية بمواد عديدة وبنسب منضبطة يحتاجها الإنسان فى غذائه.

ومن الإنزيمات الخاصة بالتين ما يعرف باسم إنزيم التين **أو إنزيم فيسين (Ficin)** ثبت أن له دوراً مهمًا فى عملية هضم الطعام. وقد تمكن اليابانيون من إثبات وجود مركب كيميائى من نوع الألدهيدات الأروماتية فى ثمرة التين يعرف باسم البنزالدهايد (**Benzaldehyde**)وتركيبه الكيميائى (C_6H_5CHO)، وقد تم عزله من ثمار التين، وثبت أن له قدرة على مقاومة مسببات الأمراض السرطانية.

كذلك اكتشفت مجموعة من المركبات النشوية التى تعرف باسم مجموعة «السور الينز» فى ثمرة التين، وثبت أنها تلعب دورًا فعالاً فى حماية الدم من أعداد من الڤيروسات والبكتيريا، والطفيليات التى تتسبب فى كثير من الأمراض من مثل

فيروس الالتهاب الكبدى. كذلك ثبت أن للتين فوائد عديدة فى إدرار اللبن وفى علاج حالات البواسير، والإمساك المزمن، والنقرس، وأمراض الصدر، واضطراب الحيض، وحالات الصرع، وتقرحات الفم، والتهابات كل من اللثة واللوزتين والحلق، وفى علاج مرض البهاق، وفى إزالة الثآليل، وفى اندمال الجروح والتقرحات المختلفة، ولذلك روى أبو الدرداء ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة قلت التين؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم**[1]**،كلوا منه فإنه يقطع البواسير وينفع النقرس**»[2]. من هنا كان القسم بالتين فى القرآن الكريم وتسمية سورة من سوره باسم «سورة التين».

ثانيًا: فى القسم بالزيتون

جاء ذكر الزيتون وزيته فى سبعة مواضع مختلفة من كتاب الله، منها القسم به مع التين فى مطلع سورة التين. وشجرة الزيتون شجرة مباركة وكذلك ثمرتها، فهى شجرة معمرة قد تعيش لأكثر من ألفى سنة، وهى من أهم نباتات الزيوت، ويعتبر زيتها من أصح الزيوت النباتية، إن لم يكن أصحها على الإطلاق، وهو بالقطع أفضل من جميع الدهون الحيوانية، وذلك لاحتوائه على نسبة ضئيلة من الأحماض الدهنية، وأن ما به من دهون هى دهون غير مشبعة ولذلك لا تتسبب فيما تتسبب فيه بقية الزيوت من ارتفاع نسبة الدهون الضارة بالدم فيؤدى ذلك إلى تصلب الشرايين وضيقها وانسدادها، وإلى ارتفاع ضغط الدم، وإلى غير ذلك من الأمراض المتعلقة بالقلب والدورة الدموية.

وزيت الزيتون سائل أصفر اللون شفاف، غنى بالأحماض الزيتية (**Oleic acids**) يستخدم فى الطبخ، وفى الإضافة إلى السلطات، ويلعب دورًا مهمًا فى منع أكسدة الكوليسترول الذى يفرزه جسم الإنسان، وذلك لاحتوائه على «ڤيتامين هـ»، وعلى قدر من المركبات الكيميائية الأخرى تعرف باسم مركبات الفينولات العديدة (**Polyphenolic Compounds**) التى تمنع التأكسد الذاتى للزيت وتحافظ على ثباته، وبذلك يقى الجسم من أخطار فوق أكاسيد الشحوم (**Lipid Peroxides**)، وهى من

(١) بلا نوى.

(٢) الكمال فى «الأحكام النبوية فى الصناعة الطبية» (٢/ ١٤١)، والذهبى فى «الطب النبوى» (٤٠).

المواد الضارة بجسم الإنسان. وعلى ذلك فإن تناول زيت الزيتون بانتظام يؤدى إلى خفض المستوى الكلى للكوليسترول فى الدم بصفة عامة، وإلى خفض الأنواع الضارة منه بصفة خاصة.

وبالإضافة إلى استخداماته فى الطعام فإن زيت الزيتون يستخدم فى إنتاج العديد من الأدوية والدهانات الطبية، وزيوت الشعر، والصابون، وبه كانت توقد المصابيح فى المنازل والمساجد قديمًا لصفاء اللهب الناتج عن اشتعاله.

وثمرة الزيتون القابلة للتخزين بالتمليح تعتبر إدامًا للطاعمين، وصبغًا للآكلين، بالإضافة إلى كونها فاتحة للشهية. وهى تحوى حسب نوعها ما بين ٥٠٪ إلى ٨٤٪ من وزنها زيتًا. ويتكون زيت الزيتون من عدد من المركبات الكيميائية الهامة منها مركبات الجليسرين والأحماض الدهنية والتى تعرف باسم الجليسريدات (Glycerides)، ومن أوفر الأحماض الدهنية فى الزيتون وزيته ما يعرف باسم الحمض الزيتى أو حمض زيت الزيتون (Oleic Acid) بالإضافة إلى كميات قليلة من حمض زيت النخيل (Palmatic Acid)، وحمض زيت الكتان (Linolic Acid)، وحمض الشمع (Stearic Acid)، والحمض الغامض (Mystric Acid).

وبالإضافة إلى ذلك يحتوى الزيتون وزيته على نسبة متوسطة من البروتينات، ونسب أقل من عناصر البوتاسيوم، والكالسيوم، والمغنيسيوم، والفوسفور، والحديد، والنحاس والكبريت وغيرها، مع نسبة من الألياف، وتدخل هذه المكونات فى بناء حوالى الألف من المركبات الكيميائية النافعة لجسم الإنسان والضرورية لسلامته. لذلك كله، ولغيره الكثير مما لا نعلم من أسرار الزيتون، يروى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة»**[1]. وكذلك يروى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: **«نعم السواك الزيتون،من الشجرة المباركة، وهى سواكى وسواك الأنبياء من قبلى»**[2]. ومن هنا كان القسم القرآنى بالزيتون، وكان ذكره وذكر زيته فى سبعة مواضع مختلفة من كتاب الله.

(١) الترمذى فى «سننه» (١٨٥١ و١٨٥٢)، وابن ماجه فى «سننه» (٣٣٢٠)، وأحمد فى «مسنده» (٣/ ٤٩٧).

(٢) العجلونى فى «كشف الخفاء» (١/ ٤٤١ و٥٣٥)، والهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٢/ ١٠٠).

والزيتون وزيته غنيان بالدهون والبروتينات، فقيران فى الكربوهيدرات (السكريات والنشويات)، بينما التين غنى بالسكريات والمركبات النشوية وفقير فى المواد الدهنية والبروتينية، ومن هنا كان التين والزيتون معًا يكملان حاجة الإنسان من المواد الغذائية، ومن هنا أيضا كان القسم بهما معا فى مطلع سورة التين، وهى لفتة علمية معجزة فى كتاب أنزل من قبل ألف وأربعمائة من السنين.

ثالثًا: القسم بطور سينين

وهو طور سيناء، أو جبل موسى، أو جبل المناجاة الذى أنزلت فيه التوراة على موسى عليه السلام، وقد ذكره ربنا ـ تبارك وتعالى ـ فى اثنتى عشرة آية من آيات القرآن الكريم (البقرة: ٦٣، ٩٣، النساء: ١٥٤، الأعراف: ١٤٣، ١٧١، مريم: ٥٢، طه: ٨٠، المؤمنون: ٢٠، القصص: ٢٩، ٤٦، الطور: ١، التين: ٢)، وسميت باسمه إحدى سوره (سورة الطور)، وهو بالقطع مكان مبارك، جدير بالقسم به، ويبقى لعلماء الأرض دراسته لإثبات ما به من معجزات حسية باقية عن بركاته، وعن عملية دكه، ورفعه ونتقه فوق الحثالات العاصية من بنى إسرائيل كما جاء فى أكثر من آية من آيات القرآن الحكيم.

رابعًا: القسم بالبلد الأمين

وهو مكة المكرمة، وبها الكعبة المشرفة، أول بيت وضع للناس، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله الشريف: «**كانت الكعبة خشعة**[1] **على الماء، فدحيت منها الأرض**»[2] مما يفيد بأن الأرض تحت الكعبة المشرفة هى أول يابسة ظهرت على وجه ماء المحيط الغامر الذى بدأت به الأرض، ثم نمت اليابسة من حول هذه البقعة المباركة لتكون قارة واحدة هى القارة الأم المعروفة باسم «بانجيا» (**Pangaea**)، والتى تفتتت إلى القارات السبع الحالية. وكانت تلك القارات السبع أقرب إلى بعضها البعض ثم أخذت فى الانزياح متباعدة عن بعضها البعض أو متصادمة مع بعضها البعض حتى وصلت إلى أوضاعها الحالية. وقد ثبت علميًا توسط مكة المكرمة

(١) خُشْعة: أكمة لاطئة بالأرض. وقيل: هو ما غلبت عليه السهولة، أى: ليس بحجر ولا طين.
(٢) أورده ابن الأثير فى «النهاية فى غريب الحديث» ٢/ ٣٣.

لليابسة فى كل مراحل نمو تلك اليابسة، بمعنى أننا إذا رسمنا دائرة مركزها مكة المكرمة فإنها تحيط باليابسة تمامًا، ولذلك قال ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

والآيات القرآنية الكريمة التى تقابل الأرض بالسماء ـ على ضآلة حجم الأرض، وضخامة أبعاد السماء ـ تشير إلى مركزية الأرض من الكون، وكذلك الآيات التى تتحدث عن البينية الفاصلة للسماوات عن الأرض وتلك التى توحد أقطار السماوات والأرض، كل ذلك يشير إلى مركزية الأرض من السماوات.

وإذا كانت الأرض فى مركز الكون، والكعبة المشرفة فى مركز الأرض الأولى أو اليابسة، من دونها ست أرضين، ومن حولها سبع سماوات فإن الكعبة المشرفة تصبح فى مركز / مركز الكون، ولذلك قال المصطفى ﷺ: «**إن الحرم حرم مناء[1] بين السماوات السبع والأرضين السبع**»[2].

وأكد ذلك بقوله ﷺ: « **يا معشر قريش،يا أهل مكة إنكم بحذاء وسط السماء**» وبسؤاله الشريف لصحابته الكرام: «**أتدرون ما البيت المعمور؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال عليه الصلاة والسلام: **هو بيت فى السماء السابعة بحيال الكعبة تمامًا حتى لو خر لخر فوقها،يدخله كل يوم سبعون ألف ملك فإذا خرج آخرهم لا يعودون**»[3].

هذه الكرامات كلها جعلت من مكة المكرمة قبلة للمسلمين، ومحجًا ومعتمرًا لهم، وجعلت الصلاة فيها بمائة ألف صلاة، وجعلتها مهوى للأنبياء والمرسلين كما ذكر المصطفى ﷺ فقال: « **كان النبى من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق بمكة فتعبد فيها النبى ومن معه حتى يموت،فمات بها نوح، وهود، وصالح، وشعيب وقبورهم بين زمزم والحجر**» (الأزرقى ـ أخبار مكة).

---

(١) مناء: حذاء ومقابل.

(٢) أورده ابن الأثير فى «النهاية» (٤/ ٣١٣).

(٣) الطبرى فى «تفسيره» (٢٧/ ١١)، والقرطبى (٧/ ٤٠٤)، والدر المنثور (٦/ ١١٨).

وفى مكة المكرمة قبر كل من نبى الله إسماعيل عليه السلام وأمه السيدة هاجر رضى الله عنها وهما مدفونان فى حجر إسماعيل.

واختار الله ـ تعالى ـ مكة المكرمة مهبطًا لآدم ـ عليه السلام ـ وليولد بها، ويبعث فيها خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، فيلتقى فيها أول النبويات وختامها، ولذلك أقسم بها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ فى كل من سورة التين، وسورة البلد التى سماها باسمها، وأطلق عليها وصف أم القرى أى أصل اليابسة، وأم الأرض كلها، ومن هنا كانت جدارتها للقسم بها فى سورة البلد، وبالاسم المطلق وبوصف البلد الأمين فى «سورة التين».

هذه الحقائق العلمية عن كل من التين والزيتون، وعن كرامة كل من مكة المكرمة، البلد الأمين، وجبل الطور الذى ناجى الله ـ تعالى ـ عبده ونبيه موسى بن عمران عليه السلام من جانبه الأيمن لم تكن معروفة لأهل الجزيرة العربية، ولا لأحد من الخلق فى زمن الوحى، ولا لقرون متطاولة من بعد ذلك، والقسم بهذا الكم من الحقائق العلمية والتاريخية فى سورة التين لمما يقطع بأن القرآن الكريم لايمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذى أنزله بعلمه، ومما يجزم بنبوة النبى الخاتم والرسول الخاتم الذى تلقاه، ويؤكد بأنه ﷺ كان موصولاً بالوحى، ومعلمًا من قبل خالق السماوات والأرض، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

***

Saudi Arabia
Nuweiba Beach